349 - ـ فصل : العاقل من تأمل الأمور و رعاها .

من الغلط العظيم أن يتكلم في حق معزول بما لا يصلح فإنه لا يؤمن أن يلي فينتقم .

و في الجملة لا ينبغي أن يظهر العداوة لأحد أصلا فقد يرفع المحتقر و قد يتمكن من لا يعد بل ينبغي أن يكتم ما في النفوس من ضغن على الأعداء .

فأن أمكن الإنتقام منهم كان العفو انتقاما لأنه يذلهم .

و ينبغي أن يحسن إلى كل أحد خصوصا من يجوز أن يكون له ولاية و أن يخدم المعزول فربما نفع في ولايته .

و قد روينا أن رجلا إستأذن على قاضي القضاة ابن أبي داؤد و قال : قولوا له : أبو جعفر بالباب .

فلما سمع هش لذلك و قال : ائذنوا له .

فدخل فقام و تلقاه و أكرمه و أعطاه خمسة آلاف و ودعه .

فقيل له : رجل من العوام فعلت به هذا ؟ .

قال : إني كنت فقيرا و كان هذا صديقا فجئته يوما فقلت له : أنا جائع .

فقال : اجلس و خرج فجاء بشواء و حلوى و خبز فقال : كل .

فقلت : كل معي قال : لا قلت : و ا لا آكل حتى تأكل معي فأكل فجعل الدم يجري من فمه .

فقلت : ما هذا فقال : مرض .

فقلت : و ا لا بد أن تخبرني .

فقال : إنك لما جئتني لم أكن أملك شيئا .

و كانت أسناني مضببة بشريط من ذهب فنزعته و اشتريت به .

فهلا أكافئ مثل هذا ؟ .

و على عكس هذه الأشياء كان ابن الزيات وزير الواثق و كان يضع من المتوكل فلما ولي عذبه بأنواع العذاب .

و كذلك ابن الجزري كان لا يوقر المسترشد قبل الولاية فجرت عليه الآفات لما ولي فالعاقل من تأمل العواقب و رعاها .

و صور كل ما يجوز أن يقع فعمل بمقتضى الحزم .

و أبلغ من هذا تصوير وجود الموت عاجلا لأنه يجوز أن يأتي بغتة من غير مرض .

فالحازم من إستعد له و عمل عمل من لا يندم إذا جاءه .

و حذر من الذنوب فإنها كعدو مراصد بالجزاء .

و إدخر لنفسه صالح الأعمال فإنها كصديق صديق ينفع وقت الشدة .

و أبلغ من كل شيء أن يعلم المؤمن أنه كلما زاد عمله في الفضائل علت مرتبته في الجنة و إن نقص نقصت .

فهو و أن دخل الجنة في نقص بالإضافة إلى كمال غيره غير أنه قد رضي به و لا يشعر بذلك .

فرحم ا من تلمح العواقب و عمل بمقتضى التلمح و ا تعالى الموفق